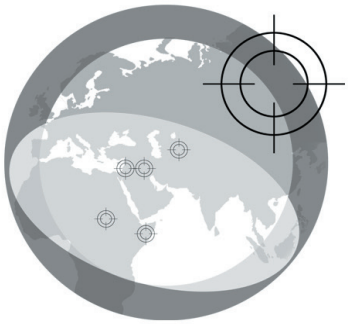

هل تراجع مشروع «إسرائيل» الكبرى؟

عدنان عبد الرحمن أبو عامر

باحث فلسطيني في الشؤون الإسرائيلية

ملخص البحث:

بعد سنوات من المعاناة الإسرائيلية بفعل تواصل المقاومة، التي شهدت تطورًا مطردًا خلال انتفاضة الأقصى، اتجهت «إسرائيل» نحو الانحسار الذي شكَّل العنوان الأبرز للسلوك الإسرائيلي خلال أعوام الانتفاضة الأخيرة.

ومثلت فكرة الجدار معلمًا بارزًا في هذا الانزواء؛ حيث ينطوي قرار إنشاء الجدار على أبعاد سياسية وأمنية ترتبط مباشرة بالتوجه الإسرائيلي نحو الانحسار، أهمها: الاعتراف بالفشل أمام المقاومة، والعجز عن مواجهتها بالأساليب العسكرية، خاصة أن المستوطنات التي ستبقى خارج الجدار ستكون هدفًا جيدًا للمقاومة.

منذ إنشائها قبل حوالي ستين عامًا قامت نظرية الأمن الإسرائيلية على ما يعرف بـ«قوة الردع»، التي توفر على «إسرائيل» مهمة شنّ حرب هنا، وخوض مواجهة هناك، ورغم الأفكار الإبداعية التي تفتقت عنها قريحة الخبراء الإسرائيليين، فإن نظرياتهم الأمنية لم تحقق «لإسرائيل» سوى المزيد من التراجع.

ومنذ اندلاع انتفاضة الأقصى، أخذت النظريات الأمنية الإسرائيلية تتآكل ويظهر فشلها، وعجزت جميعها عن توفير الحماية لجيش عملاق تراجع أمام مجموعة من مقاتلي المنظمات المسلحة، وكل ما حدث في قطاع غزة والضفة الغربية خلال العام ٢٠٠٦ بدا وكأنه تأكيد على نظرية «بيت العنكبوت».

كما أوضحت الأحداث أن الأمن الإسرائيلي أصيب في مقتل، في عدد من المحطات أهمها تواصل المقاومة في استهداف العمق الإسرائيلي، فضلاً عن الضعف الملحوظ في الروح المعنوية التي سكنت الأجيال الإسرائيلية.

وجاء صعود المقاومة كقيادة مصحوبًا بخشية حقيقية وصلت إلى حد التهديد المصيري لمستقبل دولة الكيان؛ لأن فوز حماس بالنِّسَب التي حصلت عليها جاء أبعد ما يكون عن التوقعات الاستخبارية الإسرائيلية مما يعتبر إخفاقًا من الطراز الأول.

وتعيش «إسرائيل» منذ سنوات عديدة أزمة حقيقية تتمثل في غياب جيل التأسيس الذي رافقها مع بداياتها الأولى، سواء بوفاة عدد منهم، أو باعتزال عدد آخر للحلبة السياسية.

منذ اللحظة الأولى لاحتلال القوات الأمريكية للعراق والآمال الإسرائيلية معقودة على عراق جديد، يخرج من دائرة العداء «لإسرائيل»، لكن التطورات الحالية في العراق، والفشل الأمريكي أمام المقاومة كان له تأثير إضافي كبير على الانحسار الإسرائيلي.

أفكار ومقتطفات

- رغم التحذيرات الساخنة التي أطلقها كبار قادة دولة الكيان من أن دولتهم تشهد انخفاضًا في مستوى الأمن الداخلي، وتعاظمًا للأخطار والتهديدات الداخلية والخارجية، فما زال الخوف يسيطر على جموع كثيرة من العرب والمسلمين، لاسيما النخب السياسية والثقافية والفكرية منهم، الذين ما زالوا يتصورون إسرائيل «بُعبعًا» مخيفًا، غير قابل للهزيمة أو الانكسار.

- لم يكن الاستنتاج بأن بناء الجدار جاء معبرًا عن انكسار إسرائيليين أمام قوى المقاومة مجرد وجهة نظر، بقدر ما كانت إقرارًا جاء على ألسنة عدد من رموز الحكم والسياسة الإسرائيليين، ومنهم الجنرال «آفي إيتام» زعيم حزب المفدال، و«بنحاس فالنتشتاين» الناطق باسم مجلس المستوطنين «يشع»، و«يوفال شتاينتس» الرئيس السابق للجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست عن الليكود.

- التراجع الحقيقي لنظرية الأمن الإسرائيلية تَبَدَّى في قدرة المقاومة على إيلام المستوطنين، ولعل التعبيرات التي خرج بها الإعلام الإسرائيلي تؤكد ذلك، ومنها: دم.. عرق ودموع.. مع التشديد على الدم..هذا هو اختبار الدولة..اختبار التراث الاجتماعي..اختبار قدرة الصمود..قدرة امتصاص الضربة.

- إذا انتصرت «إسرائيل» في خمسين حربًا، فإنها لن تُخضع العالم العربي، لكن يكفي العرب أن ينتصروا في حرب واحدة من أجل القضاء على اسرائيل! (بن غوريون).

- منذ إعلان قيام دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨، دعا جميع رؤساء الحكومات المتعاقبة -بدرجات نجاح متفاوتة- اليهود للهجرة «لإسرائيل» والإقامة فيها، إلا أن «أرييل شارون» ذهب بعيدًا جدًّا، حين دعا يهود فرنسا للهجرة «فورًا».

- كانت آخر الأفكار التي ابتدعها الإسرائيليون لمحاولة كسب المعركة الديمغرافية أمام الفلسطينيين، ما قدمه وزير المهام الاستراتيجية الجديد وزعيم حزب «إسرائيل بيتنا» أفيغدور ليبرمان، حين طرح مشروعًا يقضي باستبدال الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧، بتبادل أراضٍ على أساس تواجد سكاني؛ بحيث أراد ضم منطقة المثلث في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، إلى الضفة الغربية، مقابل الاحتفاظ بكامل المستوطنات في الضفة.

- اعتُبر العام ٢٠٠٤ أكثر الأعوام التي سقط فيه إسرائيليون في غزة، إذ قُتل فيه ٤٦ إسرائيليًّا، أي ثلث القتلى، تلاه العام ٢٠٠٢ الذي سقط فيه ٣٥ قتيلاً، فالعامين ٢٠٠٠ و٢٠٠٣، وسقط في كل منهما ١٥ قتيلاً، بينما سقط خلال ٢٠٠٥ وهو عام الانسحاب ١٢ قتيلاً، حيث نفذت قوى المقاومة ١٢ عملية فدائية مشتركة قتل خلالها ٥٩ إسرائيليًّا، إلا أن الإحصائيات العديدة التي أصدرتها قوى المقاومة، تشير

إلى أنها نفذت في قطاع غزة ٤٠٠ عملية عسكرية خلال الانتفاضة، قتل خلالها ١٦٧ إسرائيليًا.

- تواترت اعترافات القادة العسكريين بأن اضطرار جيشهم لتنفيذ خطة فك الارتباط، والانسحاب من قطاع غزة، يمثل تراجعًا واضحًا للمشروع الصهيوني، وانتصارًا لخيار المقاومة، وجاءت الاعترافات لتؤكد أنه كلما مر الوقت فسيزداد الوضع خطرًا، وسيكون فشل الانسحاب محسوسًا أكثر فأكثر.

- أعلنت «إسرائيل» أن المشروع الدولي الذي اتفق العالم كله بشأنه؛ للقيام بدور وظيفي يحمي مصالحها، المسمى «السلطة الفلسطينية»، أصبح رهينة بيد أكبر عدو «لإسرائيل» في المنطقة، وهي حماس؛ مما يمنح «إسرائيل» فرصة تحريض العالم على تبني موقفها بمحاصرة الحكومة الشرعية سياسيًا ومقاطعتها وفرض القيود والشروط عليها.

- أولت الحكومة الإسرائيلية اهتمامًا بالغًا للحصار الاقتصادي والمالي الذي فرضته على حكومة حماس، من خلال تعطيل اتفاقية العائدات الجمركية، في ظل وجود ما يزيد عن ١٢٥ ألف موظف في صفوف السلطة الفلسطينية الذين يحتاجون صبيحة كل آخر شهر ما قيمته ١٥٠ مليون دولار كرواتب شهرية.

- استخدمت «إسرائيل» سيطرتها على المعابر التجارية من وإلى الضفة والقطاع للضغط على الفلسطينيين، في إعاقة وصول البضائع والسلع الأساسية والأدوية، وشل حركة البناء وشيوع الركود الاقتصادي، بمعنى أنها مارست عليهم حصارًا «غذائيًا» فضلاً عن «الحصار المالي»، مما أوقع حكومة حماس أمام جماهيرها بسؤال طويل عريض يتعلق بتوفير لقمة العيش.

- جرت العادة أن يقود المستوى السياسي نظيره العسكري؛ لأن القيادة العسكرية منوط بها تنفيذ أهداف سياسية بحتة، تُكلفها بها الحكومة التي تمثل المستوى السياسي، وقد أدت الأزمة القيادية في «إسرائيل» إلى أن تقود المؤسسة العسكرية الحكومة.

- بعد أكثر من ثلاث سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق، برزت وتكشفت الكثير من الشواهد العديدة على التورط الإسرائيلي فيما يحدث على أرض العراق.

- صرحت مصادر عسكرية إسرائيلية أن عدة وحدات عسكرية اجتازت الحدود، وتعمل في غرب وشمال العراق، وفي حين رفض «عاموس مالكا» رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق تأكيد الخبر أو نفيه، إلا أن الكثير من المصادر الإعلامية وثيقة الصلة بأجهزة الأمن أكدت أن المعلومة صحيحة، وأن الإسرائيليين الذين دخلوا العراق عددهم خمسة آلاف شخص، انطلقوا من قاعدة عسكرية في صحراء النقب.

- حشدت «إسرائيل» لوقف تراجع مشروعها كل الأدوات والوسائل المختلفة، لكن نجاحها في ذلك ليس ضرورة حتمية؛ ذلك أن هناك أسبابًا ذاتية وموضوعية تحول دون نجاحها، لعل أهمها بعض الشواهد الميدانية، وتلك المتعلقة بالحراك الحزبي البنيوي، الذي يعصف بالحياة السياسية الإسرائيلية.

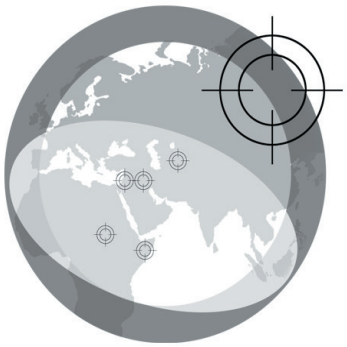

هل تراجع مشروع «إسرائيل» الكبرى؟

عدنان عبد الرحمن أبو عامر

باحث فلسطيني في الشؤون الإسرائيلية

مقدمة:

شهد العام ٢٠٠٦ تراجعًا إسرائيليًّا ملموسًا وواضحًا على مختلف الأصعدة، السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية، ولم يكن هذا التراجع وليد اللحظة، أو نتيجة لحدث سياسي هنا، ومواجهة عسكرية هناك، بل جاء أمرًا طبيعيًّا في قراءة المؤشر البياني التنازلي، الذي تشهده «إسرائيل» منذ عدة سنوات.

ورغم التحذيرات الساخنة التي أطلقها كبار قادة دولة الكيان من أن دولتهم تشهد انخفاضًا في مستوى الأمن الداخلي، وتعاظمًا للأخطار والتهديدات الداخلية والخارجية، فما زال الخوف يسيطر على جموع كثيرة من العرب والمسلمين، لا سيما النُّخَب السياسية والثقافية والفكرية منهم، الذين ما زالوا يتصورون إسرائيل «بُعبُعًا» مخيفًا، غير قابل للهزيمة أو الانكسار.

تحاول الدراسة الإفصاح عن الجوانب الخفية التي تشير -في مجملها- إلى أن هذا كيان يعيش فترة من أسوأ لحظاته، وأكثرها تراجعًا وانكسارًا، رغم الانطباعات التي يعطيها بين الحين والآخر عن قدراته الخارقة، لكنه في الحقيقة منكمش، بل ويمضي في خططه السياسية والعسكرية حول الانطواء والانزواء، والعودة إلى حياة «الغيتو» التي أَلِفَهَا اليهود منذ قرون مضت.

أولاً: من الانتصار إلى الانكسار:

من «إسرائيل» الكبرى إلى الاحتماء خلف السور:

بعد سنوات من المعاناة الإسرائيلية بفعل تواصل المقاومة، التي شهدت تطورًا مطردًا خلال انتفاضة الأقصى، اتجهت «إسرائيل» نحو الانحسار والانزواء، الذي شكَّل العنوان الأبرز للسلوك الإسرائيلي خلال أعوام الانتفاضة الأخيرة.

وقد سبق هذا الانحسار قيام «إسرائيل» بـ «صب جام غضبها» على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم اختارت اللجوء إلى جدارها العنصري لتعميق «الكولونيالية» الداخلية، وعمدت إلى ممارسة السيطرة والتمييز تجاه الفلسطينيين، وأخذت هذه الممارسات تسير في منحى التعاظم والتفاقم في أعقاب الانسحاب من غزة. (١)

وعلى الرغم من أن الجيش الإسرائيلي أراد الظهور بصورة المنتصر الحقيقي في عملية بناء الجدار، ومن ثَم تنفيذ الانفصال عن قطاع غزة، إلا أن استعراض القوة اللافت هذا، جعل إسرائيل تقف أمام نقطة

تحـول مهمـة فيما بـات يُعرف بـ «سـيرورة» تفكك الجيش الإسرائيلي.(٢)

فكرة الجدار وبدايات الانحسار الصهيوني:

فكـرة الجـدار من حيث الأسـاس جـاءت بابتداع من اليسـار الإسـرائيلي أصـلاً، كوسـيلة للوقاية من العمليات التي يبـادر إليها المقاومون داخل ما يعرف بـ «الخط الأخضر»؛ لمنعهم من ذلك، ثم جاء اليمين ليتخـذ من هذه الفكرة وسـيلة ليحقـق بعضًا من رؤاه الأيديولوجية في التوسع والاستيطان، وإبقاء السيطرة على كامل المناطق.

وفـي قصـة الجـدار هنـاك الكثيـر مـن التشـكل التدريجي المتصاعد المباغـت، فقد بدأ متواضعًا في حجمه؛ لإعطاء رد أمني مناسب، لكنه سرعان ما تغير ليتوافق مع رؤية اسـتراتيجية معينـة، وعلى الفور بعد العمليـة الاستشـهادية التي نفَّذها «سـعيد الحوتري» أحد مقاتلي كتائب القسـام بتل أبيب، وأسـفرت عن مقتل ثلاثين إسرائيليًا وإصابة العشرات في الأول من يونيو/ حزيـران ٢٠٠١، قرّرت الحكومـة المصادقة المبدئية على مشـروع خطة لمنع تسـلل الأشـخاص من المناطق الفلسـطينية إلى داخل فلسـطين المحتلة عام ١٩٤٨.

وبالرغـم مـن أن رئيـس الـوزراء السـابق «أرييـل شارون» لم يكن يتفق أصلاً مع فكرة أي جدار يفصل بين «إسرائيل» وطموحاتها الإقليمية في الضفة الغربية بالـذات، لكنه رغـب في الوقـت ذاته بصـد الضغط الجماهيـري المتزايـد؛ الذي بات يـرى وجوب مثل هذا العائق على سـبيل الوقايـة الأمنية، خاصة بعد أن وصلت عملية السور الواقي إلى مربع الفشل الذريع، التي وضع لها شعار ضرب «البنية التحتية» للمقاومة.

مؤشرات الانحسار من بناء الجدار:

ينطـوي قرار إنشـاء الجدار علـى أبعاد سياسـية وأمنية ترتبط مباشرة بالتوجه الإسرائيلي نحو الانحسار، **أهمها:**

١- الاعتراف بالفشـل أمام المقاومـة، والعجز عن مواجهتهـا بالأسـاليب العسـكرية، مما يشـير إلى أن جميع العمليات التي نفذتها «إسـرائيل» ضد المقاومة طـوال سـنوات الانتفاضـة، لـم تسـفر عـن هزيمتها وانتصار الجيش الإسـرائيلي، بالعكس فقد أتى القرار الإسـرائيلي ببنـاء الجـدار إقـرارًا بعدم القـدرة على مواجهة قوى المقاومة، التي تغلبت على كل محاولات الضرب والإفناء رغم شراسة الهجوم عليها.(٣)

٢- لم يكن الاستنتاج بأن بناء الجدار جاء معبرًا عن انكسـار الإسرائيليين أمام قوى المقاومة مجرد وجهة نظر، بقدر ما كان إقرارًا جاء على ألسنة عدد من رموز الحكم والسياسـة الإسرائيليين، ومنهم الجنرال «آفي إيتـام» زعيم حزب المفـدال، و«نحاس فالنتشـتاين» الناطق باسـم مجلس المستوطنين «يشـع»، و«يوفال شـتاينتس» الرئيس السـابق للجنـة الخارجية والأمن التابعة للكنيست عن الليكود.(٤)

الإشكالات الأمنية للجدار:

وهـي إشـكالات تجعل فكـرة بنـاء الجـدار دون جـدوى، لا سـيما الحيلولة دون عمليـات المقاومة، **ومنها:**

١- المستوطنات التي ستبقى خارج الجدار ستكون هدفًا جيدًا للمقاومة، وبالتالي تكرار تجربة لبنان حين ترسل الأمهات أبناءهن للدفاع عن المستوطنات، ثم يعودون في الأكفان، فيبدأ مسلسـل جديد يضطر معه الجيـش إلى إزالة تلك المسـتوطنات والانسـحاب، وهذا ما حصل في قطاع غزة!

٢- ليس هنـاك جدار يقدم حلًّا للمشـكلة الأمنية في القـدس والمناطق المكتظة بالسـكان، خصوصًا أن إمكانيـة تجنيد شـبان «استشـهاديين» مـن هناك ستبقى واردة، لا سـيما وأن ٩٥٪ من الاستشهاديين اجتـازوا الخـط الأخضر عبـر المعابـر، وليس عبر الحقول المفتوحة.(٥)

٣- ليـس هناك جدار يمنع إطـلاق نيران المدفعية، والأهم من ذلك هو حجم القوات المطلوبة لحراسـة

الجدار، وإذا لم يكن هناك حسم في ضرب من يقترب منه فلن يبقى طويلاً في مكانه.(٦)

٤- لن يواصل رجال المقاومة استخدام ذات الطرق العادية للدخول، بل سيعمدون إلى أساليب جديدة، كاستخدام الشبان من عرب ٤٨، أو حفر الأنفاق، أو استخدام الهويات المزيفة، أو وسائل الطيران الخفيفة، وهذه بعض الأدوات التي أكدت يوميات المقاومة أنها بحوزة رجالها.(٧)

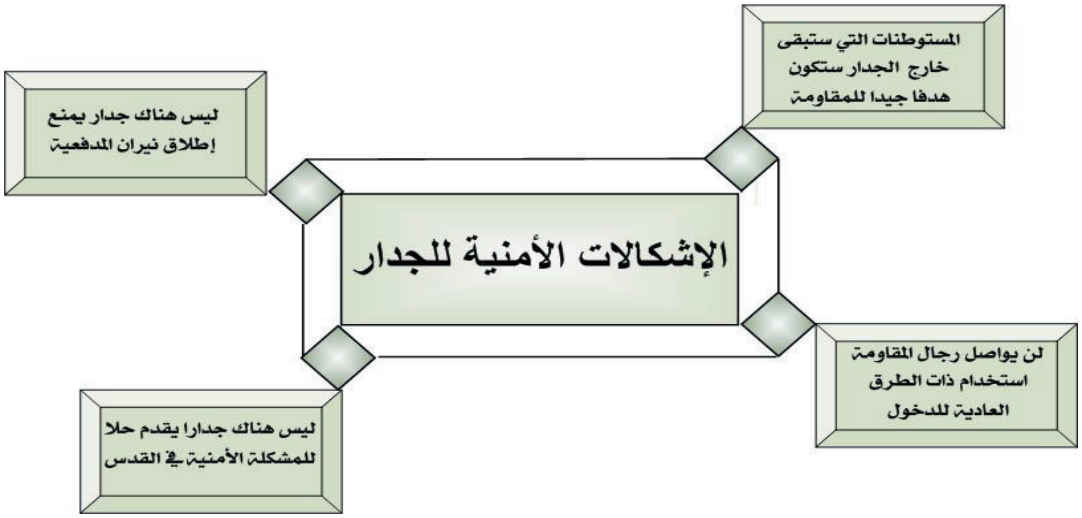

ثانيًا: فشل النظريات الأمنية وعلامات الاندحار الصهيوني:

منذ إنشائها قبل حوالي ستين عامًا قامت نظرية الأمن الإسرائيلية على ما يعرف بـ «قوة الردع»، التي توفر على «إسرائيل» مهمة شن حرب هنا، وخوض مواجهة هناك، وقد راكمت «إسرائيل» عناصر نظريتها عبر سنين متواصلة، ومن خلال جهود جبارة، وعلى جميع المستويات، الأمنية والعسكرية، بما فيها النووية، ورغم الأفكار الإبداعية المتجددة التي تفتقت عنها قريحة الخبراء الإسرائيليين، فإن نظرياتهم الأمنية لم تحقق «لإسرائيل» سوى المزيد من التراجع على كل المستويات المادية والمعنوية، ومنها:

١- استمرار الصراع الدامي بين المقاومة و«إسرائيل»، والذي اتسم بقاعدة «عض الأصابع»؛ حيث حاول كل طرف إلحاق أكبر قدر من الضربات الموجعة بالطرف الآخر؛ حتى يقر بالقواعد الجديدة للمواجهة، مع إعلان «إسرائيل» ورغبتها بالقضاء على المقاومة، لكنها لم تتمكن!(٨)

٢- الفشل الذي مُنيت به النظريات الأمنية، وتكرر عبر أكثر من محطة، بدءًا باستمرار قصف الصواريخ من غزة، مرورًا بأسر الجنود، وانتهاء بخوض مواجهات عسكرية فاشلة مع المقاومتين الفلسطينية واللبنانية، دفع بالخبراء لطرح أسئلة ذات طبيعة لوجستية ربما تسببت بخسارة «إسرائيل» وتراجعها.(٩)

٣- تراجع الأهداف المعلنة من القضاء الكلي على المقاومة، إلى الاكتفاء بنزع أسلحتها؛ وهكذا فإن اللغة التي استخدمها الجيش في بداية الانتفاضة توضح التغيرات التي طرأت في نهايتها، فلم يعد الحديث عن «معركة وجهًا لوجه»، ولم يعودوا يعلنون «القضاء على العدو» و«استئصال الغول»، بل الاكتفاء بـ «التغلب عليه»!(١٠)

٤- وصول القادة العسكريين والمسئولين السياسيين في دولة الكيان إلى قناعة مفادها أن تحطيم قوة المقاومة، وإبادة نموذج حركة حماس هو هدف غير واقعي، ومن هؤلاء د/ «رؤوبين إيرليخ» (١١) الذي انتقد الأهداف الردعية الكبيرة التي وضعها

أصحاب النظرية الأمنية الإسرائيلية بقوله: كل من يفكر بإزالة قدرات حماس هو غير واقعي، يجب التفكير بمصطلحات: ماذا يمكن إنجازه؟ المتاهة الحمساوية تشدنا مرارًا وتكرارًا إليها![١٢]

مظاهر فشل النظرية الأمنية الإسرائيلية:

منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، أخذت النظريات الأمنية الإسرائيلية تتآكل ويظهر فشلها، خطة إثر خطة، وعجزت جميعها عن توفير الحماية لجيش عملاق تراجع أمام مجموعة من مقاتلي المنظمات المسلحة، وكل ما حدث في قطاع غزة والضفة الغربية خلال العام ٢٠٠٦ بدا وكأنه تأكيد على نظرية «بيت العنكبوت»!

وجاء الانسحاب من غزة ليضع المزيد من نقاط الإضعاف الإضافي الذي طرأ على نظرية الأمن الإسرائيلية، وبلغ التأثير السلبي لتآكلها ذروته في أن «أرييل شارون» «رمز» القوة الإسرائيلية هو الذي أشرف على هذا الانسحاب، ومرة أخرى ساد الانطباع بأن «إسرائيل» غير قادرة على مواجهة ضغوط التنظيمات المسلحة التي تقودها حماس، وتفضل الانسحاب إلى ما وراء جدار حصين.[١٣]

لقد أوضحت الأحداث أن الأمن الإسرائيلي أصيب في مقتل في عدد من المحطات أهمها:[١٤]

١- تواصل المقاومة في استهداف العمق الإسرائيلي، وكما هزت العلميات الاستشهادية عمليًا نظرية الأمن الداخلي قبل أعوام، جاء صاروخ القسام ليبدد الحلم نهائيًا بأن تحارب «إسرائيل» وراء الحدود، وتبقى هي في مأمن داخلي مطمئن، بحيث بدأت تراود الإسرائيليين الشكوك في مفهوم «إسرائيل القلعة»، وفي جيش لم يستطع أن يحقق النصر الاستراتيجي الساحق.[١٥]

٢- كشف العام الأخير عن الضعف الملحوظ والمتزايد في الروح المعنوية التي سكنت الأجيال الإسرائيلية، فلم يعد الجيل الجديد راغبًا في القتال، ما دفع المؤرخ الإسرائيلي «بني موريس» للقول: ما هو جيد للفرد، ليس بجيد للمجموع، الإسرائيلي يريد أولاً فيلا وسيارة، التطوع والتجنيد في الجيش مستمران، لكن الجيش أصبح حرفة وليس مهمة ذات رسالة، وبالتالي طرح السؤال بكل قسوة: هل نظرية «خيوط العنكبوت» كانت محقة؟ هل المجتمع الإسرائيلي آخذ في الضعف، آخذ في اللين، إلى أن ينهار أمام المقاومة الإسلامية الكبرى؟[١٦]

٣- التراجع الحقيقي لنظرية الأمن الإسرائيلية تَبَدَّى في قدرة المقاومة على إيلام المستوطنين، ولعل التعبيرات التي خرج بها الإعلام الإسرائيلي تؤكد ذلك، ومنها: «دم.. عرق ودموع.. هذا هو اختبار الدولة..اختبار التراث الاجتماعي..اختبار قدرة الصمود..قدرة امتصاص الضربة».[١٧]

أخيرًا.. فإن نقطة الضعف الجوهرية التي كشفت عن الإخفاق الأمني الإسرائيلي، تتمثل في حقيقة تاريخية مفادها أن «إسرائيل» دولة لا تحتمل الهزيمة، ولو لمرة واحدة، وهنا نستحضر كلام «بن غوريون» القائل: إذا انتصرت إسرائيل في خمسين حربًا، فإنها لن تُخضع العالم العربي، لكن يكفي العرب أن ينتصروا في حرب واحدة من أجل القضاء على «إسرائيل»! وهذا يؤكد الحاجة الإسرائيلية الدائمة إلى إنجاز حسم سريع وحاد وأليم قدر الإمكان، من أجل إبعاد موعد النهوض العسكري والنفسي للخصم![١٨]

ثالثًا: المشروع الصهيوني يخسر المعركة الديمغرافية:

منذ عدة عقود، و«إسرائيل» تعكف على إيجاد الحلول «السحرية» لمحاولة التغلب على التفوق الفلسطيني في عدد السكان، للدرجة التي جعلتها تصنِّف التهديد السكاني كأحد التهديدات الرئيسة الماثلة أمام «إسرائيل» خلال السنوات القادمة، تحت اسم «القنبلة الديموغرافية».[١٩]

ويأتي التخوف الإسرائيلي من الموضوع الديموغرافي انطلاقًا من حقائق ميدانية تعيشها الأراضي الفلسطينية، سواء في أراضي العام ١٩٦٧ أو ١٩٤٨، **ومن هذه الحقائق:**

١- كل التوقعات الديمغرافية تشير إلى أن اليهود سيصبحون أقلية في نهاية العقد الحالي؛ نظرًا لارتفاع معدل الولادات لدى الفلسطينيين، وتراجع حركة هجرة اليهود «لإسرائيل»، بمعنى أن السكان اليهود اليوم ليسوا غالبية إلا بشكل بسيط بين البحر المتوسط ونهر الأردن، مقابل أن الفلسطينيين سيصبحون غالبية بين نهر الأردن والبحر المتوسط.(٢٠)

٢- يتبين من خلال الإحصائيات أن ٨١٪ من مجمل سكّان «إسرائيل» من اليهود، ما يعادل ٥,٤٥ مليون نسمة، و١٩٪ من السكان عرب.(٢١)

٣- شكّل الانسحاب من غزة عنوانًا صارخًا للتخوف الديمغرافي، حيث بررت «إسرائيل» انسحابها بضرورة الحفاظ على طابعها «اليهودي»، بما يعني النقاء العرقي!

ورغم أن «إسرائيل» حاولت التغلب على المشكلة الديمغرافية، من خلال تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تراجعًا ملحوظًا في أعدادها، **للأسباب التالية:**

١- النقص الحاد في الخزان البشري في الاتحاد السوفييتي السابق، بفعل الهجرة الكثيفة، وخصوصًا باتجاه فلسطين المحتلة، والمغادرة إلى دول أخرى.

٢- التدهور الأمني، والموت الذي بات يلاحق الإسرائيليين في كل مكان، منذ اندلاع انتفاضة أيلول ٢٠٠٠.

٣- الانكماش الاقتصادي، وارتفاع معدل البطالة الذي بلغ ١٠٪ من القوى العاملة.

عدد المنشآت الاقتصادية المدمرة في التجمعات السكانية التي يمر فيها الجدار الفاصل حسب المحافظة وبعض خصائصها، آب/٢٠٠٣

المحافظة/المنطقة	عدد المنشآت داخل الجدار	عدد المنشآت المدمرة			عدد العاملين في المنشآت المدمرة			مساحة المنشآت المدمرة بـ م٢		
		كلي	جزئي	المجموع	كلي	جزئي	المجموع	كلي	جزئي	المجموع
جنين	٢١٧	٥	٠	٥	٢٠	٠	٢٠	١٠٠٠	٠	١٠٠٠
طولكرم	٤٧٣	٢٢	٠	٢٢	٦٠	٠	٦٠	١٠٥٠٠	٠	١٠٥٠٠
قلقيلية	٤١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
سلفيت	٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
القدس	١٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
بيت لحم	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
المجموع	٧٥٠	٢٧	٠	٢٧	٨٠	٠	٨٠	١١٥٠٠	٠	١١٥٠٠

مسح أثر الجدار الفاصل على التجمعات الفلسطينية
التي يمر بها الجدار من أراضيها، آب / ٢٠٠٣ .
المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

فشل إجراءات كسب المعركة الديمغرافية:

منذ إعلان قيام دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨، دعا جميع رؤساء الحكومات المتعاقبة -بدرجات نجاح متفاوتة- اليهود للهجرة «لإسرائيل» والإقامة فيها، إلا أن «أرييل شارون» ذهب بعيدًا جدًّا، حين دعا يهود فرنسا للهجرة «فورًا».

كما قام بوضع الخطط اللازمة لاستجلاب يهود إثيوبيا «الفلاشا»، الذين يقدر عددهم بنحو ٢٠

ألفًا حتى نهاية عام ٢٠٠٧، طبعًا مع شدة الخلاف المحتدم بين الحاخامات اليهود بشأن صحة انتسابهم للديانة اليهودية، حيث أكد الحاخام «روزن عزرا» أحد المسئولين عن استلام طلبات الهجرة، أن ٣١٪ من «الفلاشا» المستجلبين على مدى السنوات الثلاث الماضية لا ينتمون للديانة اليهودية من قريب أو بعيد، معلنًا أن ثلث المهاجرين الإثيوبيين إلى الكيان الإسرائيلي ليسوا يهودًا![٢٢]

وكانت آخر الأفكار التي ابتدعها الإسرائيليون لمحاولة كسب المعركة الديمغرافية أمام الفلسطينيين، ما قدَّمه وزير المهام الاستراتيجية الجديد وزعيم حزب «إسرائيل بيتنا» أفيغدور ليبرمان، حين طرح مشروعًا يقضي باستبدال الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧، بتبادل أراضٍ على أساس تواجد سكاني، بحيث أراد ضم منطقة المثلث في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، إلى الضفة الغربية، مقابل الاحتفاظ بكامل المستوطنات في الضفة.[٢٣]

ومع ذلك، فقد أشارت المعطيات الميدانية إلى فشل «إسرائيل» في معركتها الديموغرافية مع الفلسطينيين **ومن ذلك:**

١- قبل نهاية العقد الحالي سيصبح اليهود أقلية في الأراضي التي تضم فلسطين المحتلة والضفة الغربية وقطاع غزة، لاسيما وأن السكان اليهود اليوم ليسوا غالبية إلا بشكل بسيط بين البحر المتوسط ونهر الأردن.

٢- لدى السكان العرب معدلات ولادة مرتفعة أكثر بكثير من السكان اليهود، الذين تزداد أعدادهم بفضل موجات الهجرة التي تستمر في التراجع، بحيث إن اليهود لا يشكلون الغالبية اليوم أيضًا؛ لأن قرابة ٣٠٠ ألف من القادمين الجدد من دول الاتحاد السوفييتي السابق ليسوا يهودًا، ويتم احتسابهم في خانة «يهود وآخرون» في تقارير دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية فقط.[٢٤]

٣- سيبلغ عدد السكان العرب ٧,٥ ملايين نسمة سنة ٢٠١٠ مقابل ٣,٦ ملايين يهودي، إذا استمرت نسبة النمو الديموغرافي على الوتيرة ذاتها، وخاصة في ظل عدم وجود معطيات رسمية حول حركة الهجرة إلى خارج إسرائيل؛ لأنه لا يمكن احتساب الأشخاص الذين يستقرون في الخارج قبل مرور فترة خمس سنوات، إلا أن الإعلام الإسرائيلي أورد أرقامًا تتراوح بين ١٠ و١٥ ألف حالة مغادرة سنويًّا منذ العام ٢٠٠٠.[٢٥]

رابعًا: حصاد المقاومة، الانسحاب من غزة كنموذج:

شكَّلت المقاومة عنصرًا ضاغطًا على قوات الاحتلال بصورة واضحة، مما جعلته يتخذ القرار الاستراتيجي التاريخي بالانسحاب من قطاع غزة، وتبين ذلك من خلال الإحصائيات التي أصدرها الاحتلال ذاته، حيث قُتل ١٣٥ إسرائيليًّا في غزة منذ بدء الانتفاضة، بينهم ١٠٦ من الجنود والضباط، و٢٩ مستوطنًا، بينما أصيب المئات منهم بجراح، وتوضِّح التطورات التي حفل بها قطاع غزة مدى تقدم المقاومة وتطور أساليبها؛ إذ بدأت بإطلاق الرصاص على السيارات والحافلات، من خلال الكمائن المسلحة، واقتحام المستوطنات، مرورًا بإطلاق الصواريخ بكافة أنواعها، وتفجير الدبابات والمدرعات بعبوات كبيرة وذكية، وانتهاء بحفر الأنفاق تحت المواقع العسكرية وتفجيرها.

وقد اعتبر العام ٢٠٠٤ أكثر الأعوام التي سقط فيه إسرائيليون في غزة، إذ قُتل فيه ٤٦ إسرائيليًّا أي ثلث القتلى، تلاه العام ٢٠٠٢ الذي سقط فيه ٣٥ قتيلاً، فالعامين ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ وسقط في كل منهما ١٥ قتيلاً، بينما سقط خلال ٢٠٠٥ وهو عام الانسحاب ١٢ قتيلاً، حيث نفَّذت قوى المقاومة ١٢ عملية فدائية مشتركة قتل خلالها ٥٩ إسرائيليًّا، إلا أن الإحصائيات العديدة التي أصدرتها قوى المقاومة، تشير إلى أنها

نفذت في قطاع غزة ٤٠٠ عملية عسكرية خلال الانتفاضة، قتل خلالها ١٦٧ إسرائيليًا.(٢٦)

وقد تواترت اعترافات القادة العسكريين بأن اضطرار جيشهم لتنفيذ خطة فك الارتباط والانسحاب من قطاع غزة، يمثل تراجعًا واضحًا للمشروع الصهيوني، وانتصارًا لخيار المقاومة، وجاءت الاعترافات لتؤكد أنه كلما مر الوقت فسيزداد الوضع خطرًا، وسيكون فشل الانسحاب محسوسًا أكثر فأكثر، وسيجد الإسرائيليون أنفسهم يواجهون مملكة «الإرهاب»- كما وصفوها- القادرة على إطلاق صواريخ أكثر، وذات مدى أبعد، وفاعلية أكبر، وسيبلغ تهديدها إلى عسقلان واسدود والنقب، ولن يكون بالإمكان علاج هذا التهديد بالهجمات الجوية فقط!

كما ستكون النتيجة الطبيعية لهذا الانسحاب تعزيز ما وصفوه بـ «الإسلام الراديكالي» في المنطقة كلها، وستنشئ المقاومة تهديدًا استراتيجيًا للقدس المحتلة ومطار بن غوريون، ولن تكون صواريخ القسام مشكلة مدينة سديروت فقط؛ لأنها ستبلغ مداخل البيوت في تل أبيب ذاتها!(٢٧) ولذلك جاء اعتراف الجنرال «آفي ديختر» الرئيس السابق لجهاز المخابرات (الشاباك)، ووزير الأمن الداخلي الحالي حين قال: لا أحد يستطيع إنكار أن الفلسطينيين حققوا إنجازًا كبيرًا بدفع «إسرائيل» لإخلاء مستوطناتها من قطاع غزة دون مقابل سياسي، وبالتالي فإن الاستنتاج الذي توصلوا إليه أن نضالهم المسلح أثمر انتصارًا على الدولة العبرية.(٢٨)

وجاء «بنيامين نتنياهو» رئيس الوزراء ووزير المالية الأسبق، الذي استقال من الحكومة احتجاجًا على خطة الانسحاب من غزة؛ ليكون أكثر صراحة حين أعلن أن خطة الانسحاب من غزة تمثل انتصارًا هامًّا لحركة حماس ولفكر المقاومة، وبإمكان الفلسطينيين أن يعبّروا عن فرحتهم بهذا النصر الكبير، الذي لم يكن له مثيل في كل مواجهات دولة إسرائيل.(٢٩)

وبالتالي جاءت العمليات الأخيرة للمقاومة قبيل وبعيد الانسحاب من غزة، الدليل الأوضح على قدرة المقاومة على العمل في ظل ظروف صعبة، مما دفع بمراسل الشؤون الفلسطينية «يورام بن نور» للتعليق على الانسحاب من غزة بقوله: سواء قبلنا أم رفضنا، فإن حماس ستظهر للعالم على أنها هي التي أخرجتنا من غزة، لن ينفعنا أي شيء آخر!(٣٠)

تواترت اعترافات القادة العسكريين بأن اضطرار جيشهم لتنفيذ خطة فك الارتباط والانسحاب من قطاع غزة، يمثل تراجعًا واضحًا للمشروع الصهيوني، وانتصارًا لخيار المقاومة

ومع ذلك الإقرار بفشل إجراءات الجيش العسكرية ضد قوى المقاومة، بدليل تمكنها من ترميم قواها وإعادة تنظيم خلاياها خلال فترة قياسية، فقد تولدت لدى الإسرائيليين -عسكريين ومحللين- وجهات نظر جديدة فحواها أن ما يسمى «البنية التحتية للمقاومة» ليست بنية مادية يمكن تدميرها بعملية عسكرية، وإنما هي بنية معنوية كامنة في وجدان كل فلسطيني، ولعل هذا ما قصده ضابط إسرائيلي كبير، وهو بصدد استعراض جهود الأجهزة الأمنية في القضاء على قُوَى المقاومة، حيث قال: لقد نجحنا في تصفية كل الخلايا العسكرية، وبقيت أمامنا خلية واحدة فقط عدد أفرادها ٣,٥ مليون فلسطيني!(٣١)

خامسًا: صعود المقاومة كقيادة:

توقفت «إسرائيل» مليًّا أمام الانتصار الذي حققته حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الانتخابات المحلية والتشريعية في أوائل العام ٢٠٠٦، وقد جاء هذا التوقف مصحوبًا بخشية حقيقية وصلت إلى حد تهديد مستقبل دولة الكيان؛ لأن فوز حماس بالنِّسَب التي حصلت عليها جاء أبعد ما يكون عن التوقعات الاستخبارية التي رصدتها المخابرات الإسرائيلية

المنتشرة، مما يعتبر إخفاقًا من الطراز الأول.(٣٢)

التخوف الأكبر أن حماس فازت في هذه الانتخابات وهي ما زالت ترفع لواء المقاومة، وبالتالي جاء نجاحها نجاحًا لبرنامج المقاومة والكفاح المسلح، أكثر من ذلك فقد نفَّذت عدة عمليات عسكرية، وهي على رأس السلطة،(٣٣) وهذا أمر يصعب على قادة «إسرائيل» تصوره.

الإجراءات الإسرائيلية ضد حكومة حماس:

١- على الصعيد السياسي: تعاملت «إسرائيل» مع صعود حماس للحكم من خلال استخدام مصطلحات تاريخية في الذاكرة الجماعية اليهودية ذات صلة بالمرحلة النازية، بغرض حشد الرأي العام الإسرائيلي خلف السياسة الرسمية للحكومة، حيث اعتبرت فوز حماس مشابهًا لفوز النازيين في ألمانيا، وأن فوزها بمثابة «هزة أرضية» و«كارثة جديدة»، الأمر الذي دعا عددًا من السياسيين لمعاملة قادة حماس كقادة النازية وخاصة هتلر! وشبّهوا ميثاق حماس بكتاب «كفاحي» لهتلر، الأمر الذي وجد طريقه من خلال استطلاع للرأي أجري بين الإسرائيليين، ورأى ٥٥٪ منهم أن فوز حماس يشكل خطرًا وجوديًّا على «إسرائيل»، وأبدى ٤٢٪ منهم أن سياسة «إسرائيل» تجاه حكومة حماس متساهلة جدًّا!(٣٤)

خطة الانسحاب من غزة تمثل انتصارًا هامًّا لحركة حماس ولفكر المقاومة، وبإمكان الفلسطينيين أن يعبّروا عن فرحتهم بهذا النصر الكبير، الذي لم يكن له مثيل في كل مواجهات دولة إسرائيل. «نتنياهو»

كما أعلنت «إسرائيل» أن المشروع الدولي الذي اتفق العالم كله بشأنه للقيام بدور وظيفي يحمي مصالحها؛ المسمى «السلطة الفلسطينية»، أصبح رهينة بيد أكبر عدو «لإسرائيل» في المنطقة، وهي حماس؛ مما يمنح «إسرائيل» فرصة تحريض العالم على تبني موقفها بمحاصرة الحكومة الشرعية سياسيًّا ومقاطعتها، وفرض القيود والشروط عليها، بعد الإعلان عن تحول السلطة لـ «كيان إرهابي»! وإفقادها «الشرعية الدولية»!(٣٥)

٢- على الصعيد العسكري: التصعيد الميداني غير المسبوق الذي اعتُبر «هدية» لحكومة حماس، من خلال سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات، فسقط العشرات من الشهداء، وأصيب المئات، واعتقل الآلاف خلال بضعة أشهر من عمر الحكومة، وهي سياسة «إبقاء الأرض مشتعلة» تحت أقدامها، حيث قام الجيش بخطوات متقدمة حين بادر إلى اعتقال العشرات من نواب ووزراء حكومة حماس، تفسيرًا لما كان قد أعلنه سابقًا من أنه لا حصانة لحكومة حماس وممثليها، وهي سابقة خطيرة لم تقدم عليها أيّ حكومة من حكومات العالم في وقت سابق، بل والتهديد بتصفية رئيس الحكومة وعدد من وزرائها لاتهامهم بـ «تلطخ أيديهم بالدماء الإسرائيلية»!

٣- على الصعيد الاقتصادي: أولت الحكومة الإسرائيلية اهتمامًا بالغًا للحصار الاقتصادي والمالي الذي فرضته على حكومة حماس، من خلال تعطيل اتفاقية العائدات الجمركية، في ظل وجود ما يزيد عن ١٢٥ ألف موظف في صفوف السلطة الفلسطينية، الذين يحتاجون صبيحة كل آخر شهر ما قيمته ١٥٠ مليون دولار كرواتب شهرية، وقد أوقفت «إسرائيل» تحويل الضرائب المستحقة عليها للسلطة الفلسطينية، كما تنص عليه الاتفاقات الموقعة، منذ فوز حماس، الأمر الذي زاد من تضييق الخناق عليها، وأصبحت الحركة في وضع حرج جدًّا؛ لتوفير رواتب آلاف الموظفين، وقد بلغت قيمة هذه الضرائب حتى كتابة هذه السطور ما يزيد عن ٦٠٠ مليون دولار، أي رواتب أربعة شهور كاملة..!(٣٦)

كما بثت «إسرائيل» دعاية إعلامية موجّهة بالأساس إلى الرأي العام الدولي والمؤسسات المالية المانحة،

مفادهـا أن الأمـوال التي تأتي لـ «سـلطة حماس» لن تذهب لرواتب الموظفين، أو لمشـاريع البنية التحتية وتحسين ظروف الفلسـطينيين، وإنما ستأخذ طريقها لمخازن السـلاح وتصنيـع المتفجـرات التي تملكها حمـاس، الأمر الذي أدى إلى امتناع الكثير من الدول الغربية عن دفع مسـتحقاتها، وتلكؤ الأطراف العربية عن الإيفاء بوعودٍ قطعتها في قمم عربية، حتى في ظل رؤيتها للفلسطينيين يتضورون جوعًا..خشية اتهامهم بالمساهمة في تمويل «الإرهاب» من جهة، ومن جهة أخرى قطع «أوكسـجين الهـواء» عن حكومة حماس المتمثل بالأموال.(٣٧)

كما اسـتخدمت «إسرائيل» سـيطرتها على المعابر التجاريـة مـن وإلـى الضفـة والقطـاع؛ للضغط على الفلسـطينيين فـي إعاقـة وصـول البضائـع والسـلع الأساسـية والأدوية، وشل حركة البناء وشيوع الركود الاقتصـادي، بمعنـى أنهـا مارسـت عليهـم حصارًا «غذائيًـا» فضـلاً عـن «الحصـار المالـي» ممـا أوقع حكومـة حماس أمـام جماهيرها بسـؤال هـام يتعلق بتوفيـر لقمة العيش! مما مثل ابتزازًا رخيصًا تمارسـه دولة بحـق مواطنين أبرياء يصـل تعدادهم إلى مليون ونصف المليون نسـمة، تهمتهـم الوحيدة أنهم عبّروا عـن ثقتهم بمن يسـتطيع تحقيق آمالهـم.. ونجم عن ذلك ارتفاع نسبة البطالة إلى ٦٠٪، وزيادة نسبة الفقر إلى أكثر من ٧٠٪!(٣٨)

تقييم السياسـة الإسـرائيلية ضـد حكومة حماس:

١- رغـم قـدرة «إسـرائيل» علـى إربـاك الوضـع الداخلـي، وإشـغال حمـاس عـن تطبيـق برنامجهـا الانتخابـي، إلا أنهـا أثبتت مـن جهة أخـرى صوابية الموقـف القائـل بديمومـة الصراع بين الفلسـطينيين والإسرائيليين، وأن «إسـرائيل» لم تتغير رغم ما يقال عن اتفاقيات السلام.

٢- رغم شدة الحصار المفروض على الفلسطينيين بصـورة قاسـية ومؤلمة، فقـد أخفقت «إسـرائيل» في إحداث انقلاب شعبي ضد حكومة حماس، رغم بعض المظاهـرات هنا وهناك، بالعكس فقد طالبت أوسـاط كبيرة في صفوف الفلسـطينيين بضرورة استمرارها في مواقفها السياسية رغم ضراوة الحرب المعلنة.

٣- حدثـت تصدعـات في الإجمـاع الدولي الذي خططـت لـه «إسـرائيل»، وتمثل ذلك فـي العلاقات السياسـية التي حاولت حمـاس إقامتها وتطويرها مع بعض الدول، وعلى رأسـها روسـيا التي وصف وزير خارجيتهـا مؤخرًا المطالب الدوليـة من حماس بأنها غير واقعية، فضلاً عن مطالبة الاتحاد الأوروبي بتوسيع تعريف «المساعدات الإنسانية»، وبالتالي ضخ بعض المنح المالية بين الحين والآخر للفلسطينيين.

٤- الفشل في ترويض حماس وإجبارها على تقديم تنـازلات لها علاقـة بمشـروع المقاومـة، من خلال نجاحها في تنفيذ بعـض العمليات الناجحة، وخاصة «الوهم المتبـدد»، ورغبة مقاتليها بتطوير مؤسسـتهم العسـكرية من خلال جمـع الأسـلحة المكثف، كما تشير تقارير استخبارية إسرائيلية.

سادسًا: أزمة إسرائيل القيادية:

تعيش «إسـرائيل» منذ سـنوات عديدة أزمة حقيقية تتمثـل فـي غيـاب جيـل التأسـيس الـذي رافقها مع بداياتهـا الأولى، سـواء بوفاة عدد منهـم، أو باعتزال عدد آخر للحلبة السياسـية، لكن المعضلة الأكبر التي تصدّرت غياب القيادة السياسـية هذا العام، تكمن في تسـلم عدد من القادة حديثي العهد للعمل السياسـي في «إسـرائيل»، وقد أخذت الأزمة القيادية تسـتفحل عبر عدد من المحاور السياسية والعسكرية.

أولاً: أزمة القيادة السياسية:

١- الغيـاب القسـري لـ «أرييـل شـارون» بفعـل المـرض، والغيبوبة الطويلة التـي ألمَّت به حتى كتابة هذه السـطور، مما ولَّد عنه تزاحم مرحلي لعدد ممن رأوا أنفسـهم مؤهليـن لخلافته، وخاصة في أوسـاط حزبه الوليد «كاديما».

٢- المفاجأة التي ألمت بالوسط السياسي الإسرائيلي بعد نجاح حركة حماس في الانتخابات التشريعية، والإرباك الذي وقعت به المؤسسة السياسية الإسرائيلية.

٣- المطالبات الحثيثة لبعض القيادات السياسية باعتزال العمل السياسي، بعد سلسلة إخفاقات متراكمة، جعلتها غير جديرة بتسلم زمام القيادة في الدولة.

٤- تفاعل قضايا الفساد التي تورط بها جملة من كبار السياسيين، بدءًا بـ «شارون» وعائلته، و«إيهود أولمرت»، والوزير «حاييم رامون»، والفضيحة الكبرى التي لحقت بالرئيس «موشيه كتساب».(٣٩)

ثانيًا: أزمة القيادة العسكرية:

١- جاءت عمليات المقاومة، واستئناف إطلاق القذائف والصواريخ لتكشف العجز الذي ألمَّ بالقيادة العسكرية، وتوج هذا العجز والفشل بعملية «الوهم المتبدد» التي نفَّذتها حماس.(٤٠)

٢- انفجار الوضع في لبنان وأسر مزيد من الجنود، جعل القيادة العسكرية تقف «عارية» أمام جنودها وجمهورها الذي بات يتفرج على جيش مهزوم، وقيادة عسكرية لا تليق بأسطورة «الجيش الذي لا يقهر»!

٣- هذه الهزائم جعلت الصحافة الإسرائيلية تطلق أوصافًا معيبة بحق القيادة الحاكمة في «إسرائيل» وتعلن: أولمرت سخيف.. حلوتس خائب.. بيرتس جاهل!!(٤١)

ثالثًا: أزمة الصلاحيات بين القيادتين العسكرية والسياسية:

في ظل العجز المتبادل بين القيادتين العسكرية والسياسية، كان من الطبيعي أن تبرز بعض التداخلات في عملية اتخاذ القرارات، لاسيما المصيرية منها، في كلا المجالين، **وتمثل ذلك بأبعاد متعددة:**

١- انعدام التنسيق السياسي والعسكري والميداني بين المستويات القيادية، بحيث بدت هذه المستويات كمن يتخذ كل منها قراراته في بلد آخر، الأمر الذي جعلها مكشوفة أمام الجهات الأخرى، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، ففي حين كانت القيادة العسكرية الميدانية للجيش تطالب بالسرعة في اتخاذ قرار العملية البرية في لبنان، كان الرأي السياسي يطالب بالتأني في تنفيذها، وحين كانت نتيجتها محرجة «لإسرائيل»، انشغلت القيادتان بتبادل الاتهامات حول تحمل المسئولية.

٢- تحميل القيادة السياسية للقيادة العسكرية ممثلة بالجيش مسئولية الإخفاقات التي وقعت بها «إسرائيل» خلال هذا العام، لا سيما على صعيد تزايد عمليات المقاومة في فلسطين ولبنان، وهو نهج لم تعتد عليه في سابق عهدها؛ لأن الجيل التأسيسي «لإسرائيل» اعتقد أن الجيش هو «البقرة المقدسة»، ولا يجوز لأحد الاقتراب منه بأي انتقاد.

٣- انقلاب الصورة في التسلسل القيادي داخل «إسرائيل»، بحيث جرت العادة أن يقود المستوى السياسي نظيره العسكري؛ لأن القيادة العسكرية منوط بها تنفيذ أهداف سياسية بحتة تكلفها بها الحكومة التي تمثل المستوى السياسي، وقد أدت الأزمة القيادية في «إسرائيل» إلى أن تقود المؤسسة العسكرية الحكومة، مما جعل كبير المعلقين السياسيين يصف الوضع على النحو التالي: في العالم كله، يقوم رأس الكلب بهز الذيل، لكن في إسرائيل بدا الوضع مغايرًا، فقد بات الذيل «المؤسسة العسكرية»، يوجه الرأس «المستوى السياسي» نحو أهدافه الخاصة به!(٤٢)

وربما يكون أكثر من وصف الأزمة القيادية الإسرائيلية، المعلق السياسي «يوئيل ماركوس» حول إفلاس المؤسستين السياسية والعسكرية بقوله: ليس صدفة أن أغلبية الجمهور الإسرائيلي ترغب بتشكيل لجنة تحقيق رسمية... لماذا؟ لأن ثقة الجمهور بكل «مقدسات» الأمة، قادتها وحاخاماتها، موظفيها ووزرائها وغيرهم، آخذة في التزعزع، لقد تبددت الثقة باستقامة السياسيين، واستقامة الحكومة، ونزاهة الهيئات العسكرية، واستقامة قادة الجيش وقدراتهم، واستقامة أعضاء الكنيست، وقادة الجمهور كائنًا من كانوا!(٤٣)

سابعًا: المستقبل في ضوء تطورات العراق:

منذ اللحظة الأولى لاحتلال القوات الأمريكية للعراق في التاسع من أبريل لعام ٢٠٠٣، برز الدور الإسرائيلي واضحًا دون مواربة، رغم المحاولات الحثيثة التي بذلتها بعض الأطراف لإخفاء هذا الدور، وعلى رأسهم قادة الحرب الأمريكيين.

وبعد أكثر من ثلاث سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق، فقد برزت وتكشفت الكثير من الشواهد العديدة على التورط الإسرائيلي فيما يحدث على أرض العراق:

أ- شواهد أمنية عسكرية: لها علاقة بعمل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، لا سيما في شمال العراق، وتدريبها لعدد من المجموعات المسلحة، حيث صرَّحت مصادر عسكرية إسرائيلية أن عدة وحدات عسكرية اجتازت الحدود، وتعمل في غرب وشمال العراق، وفي حين رفض «عاموس مالكا» رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق تأكيد الخبر أو نفيه، إلا أن الكثير من المصادر الإعلامية وثيقة الصلة بأجهزة الأمن أكدت أن المعلومة صحيحة، وأن الإسرائيليين الذين دخلوا العراق عددهم خمسة آلاف شخص، انطلقوا من قاعدة عسكرية في صحراء النقب، وحملتهم بعض المروحيات إلى الحدود البرية داخل العراق، وهم عناصر الوحدات الخاصة في سلاح المشاة الإسرائيلي. (٤٤)

ب- شواهد اقتصادية: من خلال مشاركة إسرائيلية علنية بمشاريع استثمارية وتجارية، بحيث إن عبارة MADE IN ISRAEL غدت في (عراق الرشيد) أمرًا طبيعيًّا، بعد أن أعلن «داني غلرمان» رئيس اتحاد الغرف التجارية في «إسرائيل» أن النصر الأمريكي في العراق سيجلب العديد من الفوائد الاقتصادية لإسرائيل، أهمها حصولها على النفط العراقي الذي سيكون تحت إشراف أمريكي بأسعار مخفضة، وتراجع المخاطر الأمنية التي تهددها، مما سيؤدي إلى تقليص النفقات الأمنية وإنعاش الاقتصاد الإسرائيلي، من خلال فتح السوق العراقي للبضائع الإسرائيلية. (٤٥)

ج- شواهد سياسية: من خلال زيارات دبلوماسية، أعلن عن بعضها، وتكتم على الآخر لسياسيين عراقيين إلى تل أبيب.

الآثار السلبية على إسرائيل بسبب التطورات العراقية:

ومع ذلك التورط، والآمال الإسرائيلية المعقودة على العراق الجديد، لكن التطورات الحالية في العراق كان لها تأثير سلبي على «إسرائيل»، **ويتبين ذلك من خلال رصد النقاط التالية:**

١- تزايد عمليات المقاومة العراقية، لا سيما السنية منها، وتزامنها مع ارتفاع أسهم المقاومة الفلسطينية، وما يعنيه ذلك من فشل لمشروع الاحتلال الأمريكي في العراق، والإسرائيلي في فلسطين؛ بحيث إن عدد القتلى الأمريكيين خلال شهر أكتوبر الماضي زاد على المائة قتيل!

لقد تبددت الثقة باستقامة السياسيين واستقامة الحكومة ونزاهة الهيئات العسكرية، واستقامة قادة الجيش وقدراتهم، واستقامة أعضاء الكنيست، وقادة الجمهور كائنًا من كانوا (المعلق السياسي يوئيل ماركوس)

٢- أثر هذه المقاومة على الرأي العام الأمريكي الغاضب على اليهود؛ لأنه اقتنع منذ البداية أن حرب بوش ضد العراق، هي حرب إسرائيلية بامتياز، بالضبط كما كانت حرب «إسرائيل» على لبنان مؤخرًا، حربًا أمريكية بامتياز، وهو ما كشفت عنه وسائل الإعلام الأمريكية حين نقلت عن مصدر يهودي أمريكي كبير تخوفه من المستقبل، وقوله: إذا

قُتل عدد كبير من الجنود الأمريكيين في الحرب، فإن الأصوات سترتفع متهمة اليهود بأنهم المسئولون عما جرى لهم، وهذه ستكون كارثة كبرى.(٤٦)

كما نشرت الصحف الأمريكية خبرًا مفاده أن أستاذًا جامعيًّا يهوديًّا في ولاية «ألينوي» تلقى خطابات تهديد من أمريكيين، قال أحدهم فيها: كم عدد الجنود اليهود في القوات الأمريكية المسلحة، وكم جندي أمريكي سيقتل من أجل اليهود، ومن أجل «إسرائيل»؟

٣- الخذلان الذي أصيبت به «إسرائيل»، وهي ترى تراجع القوات الأمريكية في مواجهة المقاومة العراقية، انطلاقًا من المساهمة الكبيرة التي قدّمها الجيش الإسرائيلي لنظيره الأمريكي، في ضوء لقاء نائب الرئيس «ديك تشيني» بأكثر من ٧٠ خبيرًا إسرائيليًّا في مختلف المجالات، ناقش معهم خلالها كيفية حسم المواجهة الدائرة في العراق، وفي حين أبدى «تشيني» انبهاره بمهنية الخبراء الإسرائيليين في تقديم المعلومات، فإنه عبَّر لاحقًا عن أسفه لفشل هذه الإجراءات في وقف تمدد المقاومة العراقية.(٤٧)

٤- يمكن رصد الآثار السلبية للوضع العراقي على «إسرائيل» بالنظر إلى الآمال التي علقتها على النجاح الأمريكي «المأمول» هناك، فقد سبق أن صرح «شاؤول موفاز» وزير الدفاع السابق بأن النصر الأمريكي في العراق يعني إخراج هذا البلد من دائرة العداء «لإسرائيل»، كما أمّل «عوزي أراد» -رئيس وحدة التحليل بمركز هرتسليا للدراسات، والمدير السابق لوحدة الأبحاث في جهاز الموساد- أن يكون النظام الجديد في العراق نسخة من نظام «كرزاي» في أفغانستان؛ لأنه سيضع سوريا وإيران بين «فكي كماشة مرعبين»، وستجدان نفسيهما محاصرتين من كل صوب، وبالتالي جاءت ضربات المقاومة لتفشل هذه التوقعات.(٤٨)

بعد أكثر من ثلاث سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق، فقد برزت وتكشفت الكثير من الشواهد العديدة على التورط الإسرائيلي فيما يحدث على أرض العراق

خاتمة:

إن «إسرائيل»، ذلك الكيان المصطنع بإرادة دولية أولاً وقبل كل شيء، لا يملك أسباب التفوق والانتصار دون «الحبل السري» الذي يربطه بالقوى الكبرى في هذا العالم، وطالما أن هذا الحبل الأمريكي قد بدا عليه التهتك ومؤشرات الانفراط، فإن من حق «إسرائيل» القلق والتخوف، لا سيما وأنها تعيش في وسط مُعَادٍ لها، ولم تفلح سنوات الغصب والإكراه من جهة، والسلام والتطبيع من جهة أخرى، في تحويلها إلى كيان عادي طبيعي في الوسط العربي، **وقد اتضح ذلك من خلال:**

١- تراجَع المشروع الإسرائيلي وأخذ أبعادًا عديدة مختلفة، بدأت بالبعد العسكري والأمني، مرورًا بالبعد السياسي والاقتصادي، وانتهاءً بالبعد الديمغرافي والمصيري لوجود الدولة.

٢- تبذل «إسرائيل» جهودًا حثيثة لمحاولة وقف هذا التراجع باختلاف وسائلها، بدءًا بمحاولة الحسم العسكري، والحصار الاقتصادي، وإقامة التحالفات السياسية، وربما كانت فكرة وزيرة الخارجية «تسيبي ليفني» القاضية بإقامة تحالف سُنّي مع «إسرائيل» آخر ما تفتقت عنه القريحة الإسرائيلية.

٣- حشدت «إسرائيل» لوقف تراجع مشروعها كل الأدوات والوسائل المختلفة، لكن نجاحها في ذلك ليس ضرورة حتمية، ذلك أن هناك أسبابًا ذاتية وموضوعية تحول دون نجاحها، لعل أهمها بعض الشواهد الميدانية، وتلك المتعلقة بالحراك الحزبي البنيوي الذي يعصف بالحياة السياسية الإسرائيلية.

إن مؤشرات التراجع التي يعيشها ذلك الكيان، لم تعد قاصرة على أحاديث النُّخَب الثقافية والسياسية، بل أصبحت حديث الساعة للمواطن العادي، الذي يتوجب عليه قراءة الواقع بكل موضوعية، ويرى

«إسرائيل» على حقيقتها، دون تهوين أو تهويل، وألا يبقى أسير المقولات التي سمعها في لحظات النكبات والنكسات العربية.

الهوامش:

(١) إسرائيل نحو تعميق الكولونيالية الداخلية، بروفيسور أورن يفتاحئيل، أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة بن غوريون، ٨/ ٣/ ٢٠٠٦.
(٢) د/ يغيل ليفي، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الإسرائيلية المفتوحة، مؤلف كتاب «جيش آخر لإسرائيل» ، هآرتس، ٣١/ ٨/ ٢٠٠٥ .
(٣) من هذه الحملات: حقل الأشواك، جهنم المتدحرجة، السور الواقي، رحلة بالألوان، المسار الحازم، فارس الليل، قوس قزح، السهم الجنوبي، الطريق الحازم، أول الغيث، أيام الندم، انفجارات بلا حدود، الحديد البرتقالي، سيف جلعاد، أمطار الصيف، غيوم الخريف.
(٤) غَصَّتْ الصحف اليومية بعشرات التصريحات التي تشير في معظمها إلى فشل الإجراءات العسكرية ضد المقاومة الفلسطينية وقواها.
(٥) تقرير أمني قدمه جهاز الشاباك الإسرائيلي للجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٦ .
(٦) للتدليل على ذلك، فقد تسربت تقارير أمنية إسرائيلية مفادها أن رجال المقاومة حصلوا على تقنيات لتصنيع الصواريخ في الضفة الغربية، الأمر الذي اعتبر كابوسًا مرعبًا ستحياه إسرائيل؛ لأن هذه الصواريخ ستفقد الجدار أي مسوغ ومبرر لبقائه!
(٧) وثيقة أمنية قدمت في مؤتمر هرتسليا أشارت إلى كشف ما يزيد عن ١٢٠ خلية فدائية داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، تجند فيها ٢٦٠ فدائيًا، مما أشعل الأضواء الحمراء أمام الأجهزة الأمنية الإسرائيلية.
(٨) الإذاعة العبرية، ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٦ .
(٩) رافي مان، معاريف، ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
(١٠) زئيف شيف، هآرتس، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
(١١) ضابط الاستخبارات في وحدة الارتباط بلبنان خلال سنوات الثمانينيات، ونائب «أوري لوبراني» منسق عمليات الحكومة في لبنان، وأحد واضعي سياسة إسرائيل تجاه لبنان، ويدير حاليًا وحدة المعلومات التابعة لـ «مركز تراث الاستخبارات»، وهو مؤلف ٤ كتب، بضمنها «الورطة اللبنانية»، قدمت كأطروحة نال عليها شهادة الدكتوراه.
(١٢) التلفزيون الإسرائيلي، القناة العاشرة، ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٦ .
(١٣) تومي لبيد، التلفزيون الإسرائيلي، ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
(١٤) د. «تسفي شتاوبر» رئيس مركز جافي للأبحاث الاستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب، يديعوت أحرونوت، ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦.
(١٥) رون بن يشاي، هآرتس، ١٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
(١٦) بن كاسبيت، معاريف، ١٤/ ٧/ ٢٠٠٦ .
(١٧) بالإمكان الرجوع إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية التي قامت بتغطية نجاح حركة حماس بقتل ثلاثة جنود وأسر رابع في غزة في أواخر يونيو/ حزيران ٢٠٠٦.
(١٨) معاريف ١٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .
(١٩) جاء ذلك في التوصيات النهائية التي صدرت عن مؤتمر هرتسليا السنوي، ديسمبر ٢٠٠٥.
(٢٠) تصريحات للخبير الديمغرافي الإسرائيلي «سيرجيو دولا بيرغولا»، التلفزيون الإسرائيلي، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٦.
(٢١) مكتب الإحصاءات المركزي الإسرائيلي.
(٢٢) يديعوت أحرونوت، ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٦ .
(٢٣) الإذاعة العبرية، ٤/ ١١/ ٢٠٠٦ .
(٢٤) جاء ذلك على لسان بروفيسور «أرنون سوفير» الخبير الديموغرافي في جامعة حيفا، صحيفة «يديعوت أحرونوت»، ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٥.
(٢٥) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التقرير السنوي ٢٠٠٥.
(٢٦) اعتادت قوى المقاومة على إصدار جداول إحصائية دورية بشأن عملياتها الفدائية.
(٢٧) من محاضرة ألقاها رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي السابق الجنرال «موشيه يعلون»، التلفزيون الإسرائيلي، ١/ ١/ ٢٠٠٦.
(٢٨) هآرتس، ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٦.
(٢٩) الإذاعة الإسرائيلية، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٥.
(٣٠) القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي، ١٢/ ٨/ ٢٠٠٤.
(٣١) يديعوت أحرونوت، ١٨/ ٥/ ٢٠٠٦.
(٣٢) جاء ذلك على لسان «موشيه العاد»، عقيد احتياط وباحث في شؤون المجتمع الفلسطيني.
(٣٣) ناحوم برنياع، يديعوت أحرونوت، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦، وهكذا فإن وصول حماس إلى السلطة، جعل الكاتب اليهودي الأمريكي «توماس فريدمان» يطالب باتخاذ إجراءات لم تكن معهودة من قبل في كتب السياسة.
(٣٤) أجرى هذا الاستطلاع مركز «داحاف» لقياس الرأي العام، ونشرته هآرتس بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٦.
(٣٥) في حين صرح «أولمرت» بأن صراع إسرائيل ضد حماس سيتواصل بعد تشكيلها للحكومة؛ لأنها عدو صعب، وسنواجهها بكل قوة وشجاعة، أكد «نتنياهو» أن فوز حماس قلب الأمور رأسًا على عقب، وينبغي انتهاج سياسة «الجدار الحديدي» ضدها! التلفزيون الإسرائيلي ٢٩/ ١/ ٢٠٠٦.
(٣٦) إحصائيات أصدرها البنك الدولي، مايو ٢٠٠٦.

(٣٧) كانت هذه ذات الحجة التي اتخذتها بعض الدول لإعلان سياسة «تجفيف المنابع» ضد مؤسسات العمل الخيري في العالم الإسلامي.
(٣٨) صندوق النقد الدولي، تقرير صادر في مدينة القدس، يوليو ٢٠٠٦.
(٣٩) كان العام ٢٠٠٦ بامتياز عام الفضائح الأخلاقية للسياسيين الإسرائيليين، فقد اتُّهِمَ عدد لا بأس به من الوزراء والمسئولين بقضايا أخلاقية وجنائية، وقد اقتصر حديثنا على أبرز الرموز السياسية المتورطة في هذه الفضائح.
(٤٠) عملية نوعية نفذتها مجموعة من كتائب القسام يوم ٢٥/٦/٢٠٠٦ ضد أهم موقع عسكري إسرائيلي جنوب غزة، وأسفرت عن مقتل ثلاثة جنود وأسر رابع، ما زال قيد الأسر حتى كتابة هذه السطور، وشكَّلت هذه العملية هزة أرضية في الجيش الإسرائيلي.
(٤١) إيهود أولمرت رئيس الوزراء، دان حالوتس رئيس هيئة الأركان، عمير بيرتس وزير الدفاع.
(٤٢) بن كاسبيت، يديعوت أحرونوت، ١٥/٧/٢٠٠٦ .
(٤٣) هآرتس، ٢٢/٨/٢٠٠٦ .
(٤٤) يديعوت أحرونوت، ٢٢/٩/٢٠٠٥ .
(٤٥) ملحق «غلوبس» الاقتصادي، هآرتس، ١٥/٨/٢٠٠٦.
(٤٦) واشنطن بوست، ١٥/١٠/٢٠٠٦ .
(٤٧) جيروزاليم بوست، ٢٩/٩/٢٠٠٦ .
(٤٨) التلفزيون الإسرائيلي، القناة الثانية، ١٢/٤/٢٠٠٦ .

معلومات إضافية

تراجع عدد اليهود في العالم:

حسب معطيات الوكالة الصهيونية، فإن عدد اليهود في العالم ينمو بنسبة قليلة جدًّا، تقترب إلى الصفر سنويًّا، وهذا ناجم بالأساس عن تعريف من هو يهودي حسب الديانة اليهودية، التي تعتبر اليهودي هو الذي وُلد من أم يهودية، ولا تهم هوية والده، ولهذا فإن قسمًا كبيرًا من أبناء الديانة اليهودية تحللوا واندمجوا في مجتمعات أوطانهم، وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية، ويظهر من التقرير أن عدد اليهود (المعترف بهم) في الولايات المتحدة ٢٧ , ٥ مليون نسمة، ولكن لو تم الاعتراف أيضًا بأولئك الذين آباؤهم يهود لكان عدد اليهود اليوم في الولايات المتحدة عشرة ملايين نسمة.

وحسب معطيات الوكالة الصهيونية فإنه في العام ١٩٧٠ كان في العالم ٦٣٣ , ١٢ مليون يهودي، ليصل هذا العدد في العام الجاري ٢٠٠٦، إلى ٠٨ , ١٣ مليون نسمة، أي أن مجمل الزيادة خلال ٣٦ عامًا بزيادة ٦ , ٣٪ فقط، في حين أن عدد سكان العالم في هذه الفترة ازداد بنسبة تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٧٠٪ على الأرجح.

ولا تتوقع الوكالة ارتفاعًا أكثر في السنوات القادمة، فبحسب التقديرات فإن عدد اليهود المتوقع في العام ٢٠٢٠ سيكون في حدود ٥٥٨ , ١٣ مليون نسمة، أي زيادة بنسبة مماثلة، وهي ٦ , ٣٪ خلال ١٤ عامًا، ويُذكر هنا أن النسبة السنوية لتكاثر الشعب الفلسطيني تفوق ٣٪ حسب التقديرات.

وتشير كافة تقديرات الوكالة الصهيونية إلى أن عدد اليهود في أنحاء العالم، باستثناء إسرائيل، سيتراجع في العام ٢٠٢٠ بنِسَب كبيرة، ولربما أن كندا وحدها ستسجل ارتفاعًا طفيفًا لعدد اليهود فيها؛ إذ يعيش اليوم في كندا ٣٧٣ ألف نسمة، بعد أن كانوا ٢٨٦ ألفًا في العام ١٩٧٠، ومن المتوقع أن يزداد عددهم في العام ٢٠٢٠ إلى ٣٨١ ألف نسمة، أي بنسبة ١ , ٢٪، في السنوات الأربعة عشر مجتمعة.

(صدر في الآونة الأخيرة التقرير السنوي الثالث، لـ «معهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي»، للعام ٢٠٠٦) .

التقرير السنوي لـ «معهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي»

تقرير: مخاوف من تراجع عدد اليهود في العالم، وتحذير من الحركات الإسلامية

٤/ ١٠/ ٢٠٠٦ المرصد العربي للإصلاح والديمقراطية

الجدار بشكل كامل كما هو مخطط له:

٦٢٠ كيلو متر، (بهذه المسافة يكون طول الجدار قد تجاوز كثيرًا طول خط الهدنة الممتد بين الضفة الغربية وإسرائيل، بعد توقيع اتفاقية رودس عام ١٩٤٩ بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، وبلغ طول الخط نحو ٣٥٠ كم، أما سبب الزيادة في طول الجدار فيعود إلى كثرة التعاريج والالتواءات الناتجة عن التداخل بين المدن والقرى الفلسطينية، والمستوطنات الإسرائيلية التي أقامتها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية بعد احتلالها لهذه الأراضي في أعقاب حرب عام ١٩٦٧؛ إذ يتوغل الجدار أحيانًا إلى عمق يصل إلى ٢٠ كم داخل الأراضي الفلسطينية كما هو الحال في منطقة سلفيت؛ حيث أقامت إسرائيل مستوطنة أرئيل التي قررت الحكومة الإسرائيلية ضمها داخل الجدار).

الامتداد: من شمال الغور حتى قرية سالم في محافظة جنين شمال الضفة الغربية، ثم إلى الشرق من الخط الأخضر غرب الضفة الغربية، ليمتد حتى أقصى جنوب محافظة الخليل جنوب الضفة.

عمق الجدار: من ٣٠٠ متر إلى ٢٣ كيلو متر داخل أراضي الضفة الغربية.

ملاحظة: سيتفرع من الجدار الفاصل جدار ثانوي عبارة عن أسلاك شائكة ليعزل عددًا من المدن والقرى الفلسطينية في الجزء الشمالي، وأكثر المناطق المتضررة هي محافظة طولكرم.

عدد التجمعات التي سيعزلها الجدار: ١٢٦ تجمعًا سكانيًّا فلسطينيًّا، عدد سكان ٩٧ تجمعًا منها ٨٧٥٨٩ نسمة، يبلغ عدد سكان ٤٧ تجمعًا منها ١٨٣٩٨٦ نسمة سيُحاصَرُون بين الجدارين الرئيسي والثانوي.

عدد المستوطنات الإسرائيلية داخل الجدار: ١٠٢ مستوطنة تبلغ مساحتها العمرانية ٩٩,٥ كم يتوقع إلحاقها بإسرائيل.

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني

الهيئة العامة للاستعلامات

السلطة الوطنية الفلسطينية

http: / /www.pnic.gov.ps /arabic /palestine /jdarazl /curent-1.html

عدد القرى والسكان في المناطق التي سوف تُعزل أو يحيطها الجدار بحسب مخطط وزارة الدفاع الإسرائيلية:

الموقع	عدد القرى والمدن	عدد السكان	المساحة المعزولة	٪
غرب الجدار	٧٩	٨٧٥٨٩	٨٣٨	١٤,٣
بين الجدارين الرئيسي والثانوي	٢٢	١٩١٢٧١	٢٠٥	٣,٥
المجموع	١٠١	٢٧٨٨٦٠	١٠٤٣	١٧,٨

المصدر/ معهد الأبحاث التطبيقية (أريج) حزيران ٢٠٠٥

التغيير في تعداد سكان مستعمرات الغور:

تعداد سكان مستعمرات الغور				
السنة	التعداد	–	السنة	التعداد
١٩٨٥	٢٥٠٠	–	١٩٩٥	٢٦٠٠
١٩٩٠	٢٦٠٠	–	١٩٩٦	٢٧٠٠
١٩٩١	٢٨٠٠	–	١٩٩٧	٢٨٠٠
١٩٩٢	٢٩٠٠	–	١٩٩٨	٢٩٠٠
١٩٩٣	٣٠٠٠	–	١٩٩٩	٣٤٠٠
١٩٩٤	٣١٠٠	–	٢٠٠٠	٤١٤٦

(المصدر/ معهد الأبحاث التطبيقية) حزيران ٢٠٠٥

مساحة المناطق المتضررة من الجدار الفاصل:

مكان الأراضي	مساحة (دونم)	النسبة من مجموع مساحة الضفة الغربية
المساحة التي صودرت لإقامة الجدار	٢٨,٠٠٠	٠,٥
المساحة المحصورة ما بين الجدار والخط الأخضر(*)	٧٤٠,٠٠٠	١٣,٢
المساحة داخل الجيوب شرقي الجدار الأساسي	١٠٥,٠٠٠	١,٩
المجموع	٩١٥,٠٠٠	١٦,٣

(*) يشمل المساحة في هذا المكان، الأراضي داخل الجدران الثانوية (الداخلية)، ولكن لا تشمل شرقي القدس.

http: / /www.pnic.gov.ps /arabic /palestine /jdarazl /curent-1.html

المقاطع الرئيسية للجدار المصادق عليها من قبل الحكومة الإسرائيلية:

مقطع من الجدار(*)	الطول (كم)	المرحلة
سالم - الكنا (المرحلة الأولى)	١٢٥	صودق عليه، انتهى بناؤه تقريبًا
سالم– تياسير (المرحلة الثانية)	٤٥	صودق عليه، قيد البناء
الكنا - عوفر (المرحلة الثالثة)	١٤١	صودق عليه، لكن لم يبدأ بناؤه بعد
هارجيلو- الكرمل(المرحلة الرابعة)	١١٤	صودق عليه، ولكن لم يبدأ بناؤه بعد
«غلاف القدس»	٥٠	صودق عليه وانتهى البناء في جزء منه بينما الجزء الآخر قيد البناء
المجموع	٤٧٥	

(*) لا يشمل الجدران الثانوية غربي وشرقي الجدار الأساسي.

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني،
الهيئة العامة للاستعلامات، السلطة الوطنية الفلسطينية

عدد التجمعات التي يمر الجدار من أراضيها، والتي فصلت عن الخدمات الأساسية حسب المحافظة، ٢٠٠٣:

المحافظة	الخدمات الأساسية				
	العيادات الصحية	المدارس	المفتاح الرئيسي لشبكة المياه	المحول الرئيسي لشبكة الكهرباء	بدالة الهاتف
جنين	٨	٧	٢	٠	١
طولكرم	٦	٤	٣	٢	٣
قلقيلية	١٠	٧	٢	٠	٦
سلفيت	٠	٠	٠	٠	٠
القدس	٦	٤	١	١	١
بيت لحم	٠	٠	٠	٠	٠
المجموع	٣٠	٢٢	٨	٣	١١

مسح أثر الجدار الفاصل على التجمعات الفلسطينية التي يمر بها الجدار من أراضيها، آب/ ٢٠٠٣ .

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني